سِلسِلةُ العُلماءِ (٤)

عَالِمُ الأُمَّةِ

عَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ

إعداد

أحمد عبد الفتاح

تحت إشراف

عاطف عبد الرشيد

عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ، عَالِمُ الأُمَّةِ، وَفقيهُ الإِسلامِ، وَإِمامُ التَّفسيرِ، ابنُ عَمِّ رسُولِ اللهِ ﷺ، وُلِدَ في مَكَّةَ قبلَ الهجرةِ بثلاثةِ سنينَ، وَأسلمَ وبَايعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ صغيرٌ لَمْ يَبلُغِ الحُلُمَ، وهَاجرَ إلى المدينةِ المنوَّرةِ قبلَ فَتحِ مَكَّةَ.

وكَانَ عبدُ اللهِ ﷺ مُحبًّا للعلمِ مُنذُ صغرِهِ، يَهتمُّ بهِ حِفظًا وَفَهمًا وَعَملاً، دعَا لهُ النَّبِيُّ ﷺ قَائلاً: "اللَّهمَّ فَقهْهُ في الدِّينِ" [البخاري]. فصَارَ عَبدُ اللهِ ﷺ أعلمَ النَّاسِ بِالقُرآنِ وَالسنَّةِ.. قالَ عنهُ ابنُ مَسعودٍ: نعْمَ تُرجمانُ القُرآنِ ابنُ عباسٍ.

وقَالَ عَمرُو بنُ دِينارٍ: مَا رأيتُ مَجلسًا كانَ أَجمعَ لِكُلِّ خيرٍ من مَجلسِ ابنِ عبَّاسٍ؛ الحلالِ وَالحرامِ، والعربيَّةِ، والأنسابِ، والشِّعرِ.

وفِي الصَّفحاتِ التَّاليةِ نتعرفُ على سِيرةِ العَالمِ الجَليلِ، فقيهِ الأُمَّةِ، عَبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ ﷺ.

صُحبَةٌ .. ودُعَاءٌ

وُلِدَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ أَثناءَ الحِصَارِ الاقتِصَادِيِّ الَّذِي فَرضَهُ المشرِكونَ علَى النَّبِيِّ ﷺ وَالمسلمِينَ وبَنِي هَاشمٍ فِي شِعبِ أَبِي طَالبٍ، وكَانَ ذَلكَ قَبلَ الهِجرةِ بثلاثِ سِنِينَ (٦١٩م)، وَهُوَ ابنُ عَمِّ رسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَبُوهُ العبَّاسُ بنُ عَبدِ المطَّلبِ بنِ هَاشمٍ، وَأُمُّهُ أُمُّ الفضلِ لُبَابَةُ بنتُ الحَارثِ بنِ حزنٍ الهِلاليَّةُ، مِنْ بنِي هِلالِ بنِ عَامرٍ.

وكَانَ عَبدُ اللهِ ﷺ وَسِيمًا، جَميلاً، مَديدَ القَامةِ، مَهِيبًا، كَاملَ العَقلِ، ذَكِيَّ النَّفسِ.

وقدْ أَسلمَ عَبدُ اللهِ ﷺ صَغيرًا، وبَايعَ النَّبِيَّ ﷺ وهُوَ لَمْ يبلُغِ الحُلمَ، وهَاجرَ معَ أَبويهِ إلى المدِينةِ المنوَّرةِ قُبيْلَ فتحِ مَكَّةَ، وَصَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ ثَلاثِينَ شهرًا.

وقَدْ حَظِيَ عَبدُ اللهِ ﷺ بِدعاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ، يَقولُ عَبدُ اللهِ: كُنتُ عِندَ رسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيلةٍ، فَقامَ إلى سِقاءٍ فَتوضَّأَ وشَرِبَ قَائمًا، قُلتُ: وَاللهِ لأفعلنَّ كمَا فعلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُمتُ وَتوضأتُ وشَربتُ قَائمًا، ثُمَّ صَفَفتُ (وَقفتُ) خلفَهُ، فَأشارَ إليَّ لأوَازِي بِهِ (أي: أَقِفَ بجانبِهِ عَنْ يَمينِهِ)

فَأبيتُ (رَفضتُ)، فلمَّا قَضَى صَلاتَهُ قَالَ: "مَا مَنعَكَ أَنْ لا تَكونَ وَازيتَ بِي؟" قُلتُ: يَا رسُولَ الله، أَنتَ أجلُّ في عينِي وَأَعزُّ مِنْ أَنْ أُوازَى بِكَ فَقالَ: "اللَّهمَّ آتِهِ الحِكمةَ" [أبو نعيم].

وَمرَّةً ثَانيةً، يَقولُ عَبدُ الله ﷺ: ضَمَّنِي رسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهمَّ عَلِّمْهُ الحِكمةَ"[أبو نعيم].

وقَالَ ﷺ: "اللَّهمَّ فَقهُ في الدِّينِ"[البخاري].

وقَدْ تُوفِّي النَّبِيُّ ﷺ وَعُمْرُ عَبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ لا يَتجاوزُ خَمسَ عَشْرةَ سَنةً.

جَليسُ أَميرِ المؤمِنينَ

ظَلَّ عَبدُ الله ﷺ مُقبلاً علَى العلمِ وَالفقهِ بَعدَ وفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وشَاركَ في بَعضِ المعَارِكِ الإسلاميَّةِ .. وكَانَ أَبُو بكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ يَعرفُ لَهُ قَدرَهُ، وكَانَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ يُجلسُهُ في مَجلسِ الخلافةِ، وَيستَشِيرُهُ في الأُمورِ، ويأخذُ برأيِهِ في كثيرٍ منَ الأَحيانِ، حتَّى غَضِبَ بعضُ السَّادةِ منْ ذَلِكَ، وَيحكي عَبدُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فيقولُ: كَانَ عُمرُ ﷺ يُدخلُني معَ أَشياخِ بدرٍ، فقَالَ بَعضُهُمْ: لِمَ يَدخلُ هذَا

الفَتَى مَعنَا ولَنَا أبناءٌ مثلُهُ؟ فقالَ لَهُمْ عُمرُ: إنَّهُ ممَّنْ قدْ عَلمتُمْ. فدَعاهُمْ ذَاتَ يومٍ ودعَانِي مَعَهُمْ لِيريَهُمْ مِنِّي، فقَالَ: مَا تقُولُونَ في قَولِ اللهِ تَعالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ حَتَّى خَتمَ السُّورةَ؟

فَقَالَ بَعضُهُمْ: لا نَدري. وقَالَ بَعضُهُمْ: أَمرنَا أَنْ نحمدَ اللهَ تعالَى ونَستَغفرَهُ إذَا جاء نَصرُ اللهِ وفُتِحَ عَلينَا.

فَقالَ عُمرُ لِي: يَا بنَ عبَّاسٍ، كَذَاكَ تَقولُ؟

قُلتُ: لا. فَقالَ: فَما تَقولُ؟

قلتُ: هُوَ أَجلُ (وفاةُ) رسُولِ اللهِ ﷺ، أعلمَهُ اللهُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتحُ مكَّةَ، فَذاكَ عَلامةُ أَجلِكَ (وفَاتِكَ)، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

فقالَ عُمرُ: مَا أَعلمُ مِنْهَا إلا مَا تَعلمُ.[أبو نعيم].

تُرجمَانُ القُرآنِ

كَانَ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ إمامًا في تَفسيرِ القُرآنِ وتأويلِ آياتِهِ، وَممَّا رُوِيَ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ الفَاروقَ عُمرَ بنَ

الخطَّابِ ﷺ، جَلسَ يَومًا مَعَ جَماعةٍ منْ أصحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ منَ المهَاجرِينَ، فَذكرُوا ليلةَ القَدرِ، فتكلَّمَ منهُمْ مَنْ سَمعَ فيها بِشَيءٍ ممَّا سَمعَ، فتراجعَ القومُ فِيهَا الكلامَ، فَقالَ عُمرُ: مَالكَ ـ يَا بنَ عبَّاسٍ ـ صَامتٌ لا تتكلَّمُ؟ تَكَلَّمْ ولا تَمنعُكَ الحداثَةُ (صغرُ سِنِّكَ).

فَقالَ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ: يَا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ اللهَ تَعَالى وترٌ يُحبُّ الوترَ، فَجعلَ أيَّامَ الدُّنيا تَدورُ علَى سَبعٍ، وخَلقَ الإنسانَ منْ سَبعٍ، وخَلقَ أَرزاقَنَا مِنْ سَبعٍ، وخَلقَ فَوقنَا سَماواتٍ سَبعًا، وخَلقَ تَحتنَا أَراضِينَ سَبعًا، وأَعطَى مِنَ المثَانِي سَبعًا، ونَهَى في كِتابِهِ عنْ نكاحِ الأَقربينَ عنْ سبعٍ، وقسَّمَ الميراثَ في كِتابِهِ علَى سَبعٍ، ونَقعُ في السُّجودِ علَى أجسادِنَا علَى سَبعٍ، وطَافَ رسُولُ اللهِ ﷺ بِالكعبةِ سَبعًا، وبينَ الصَّفَا والمروةِ سَبعًا، ورَمَى الجِمَارَ بِسَبعٍ لإقامةِ ذِكرِ اللهِ ممَّا ذَكرَ في كتابِهِ، فَأراهَا في السَّبعِ الأواخرِ منْ شهرِ رمضَانَ، واللهُ أَعلمُ.

فَتعجَّبَ عُمرُ ﷺ وقَالَ: مَا وَافقَنِي فِيهَا أَحدٌ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ إلا هذَا الغلامُ الَّذِي لَمْ تَستوِ شؤُونُ رَأسِهِ،

إِنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "التمسُوهَا في العَشرِ الأَواخرِ". ثُمَّ قالَ عُمرُ: يَا هَؤلاءِ مَنْ يُؤدِّيني في هذَا كَأداءِ ابنِ عبَّاسٍ؟ [أبو نعيم].

وجَاءَ رجلٌ إِلى عَبدِ اللهِ بنِ عُمرَ ﷺ يَسأَلُهُ عَنْ تَفسيرِ قَولِ اللهِ تَعالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]. فقَالَ لَهُ ابنُ عُمرَ: اذهَبْ إِلى عَبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ فَاسأَلهُ، ثُمَّ أَخبرنِي بِمَا قَالَ، فَذهبَ الرَّجلُ إِلى ابنِ عبَّاسٍ فَسأَلَهُ، فَقالَ لَهُ ابنُ عبَّاسٍ: كَانت السمَاوات رتْقًا لا تُمطرُ، وكَانت الأرضُ رَتْقًا لا تُنبتُ، ففَتقَ هَذِه بِالمطرِ، وفَتقَ هَذِه بِالنَّبات، فَرجعَ الرَّجلُ إِلى ابنِ عُمرَ فَأخبرَهُ، فَقالَ ابنُ عُمرَ: إِنَّ ابنَ عبَّاسٍ قدْ أُوتِيَ علمًا. ثُمَّ قَالَ ابنُ عُمرَ: قدْ كُنتُ أَقولُ مَا يُعجبُنِي جرأَةُ ابنِ عبَّاسٍ علَى تفسيرِ القُرآنِ، فالآنَ قَدْ عَلمتُ أَنَّهُ قَدْ أُوتِي علمًا.

وكَانَ الحسنُ البَصريُّ ـ رَحمَهُ اللهُ ـ يَقولُ: كانَ ابنُ عبَّاسٍ مِنَ الإِسلامِ بمنزلٍ (مَكانةٍ كبيرةٍ)، وكَانَ منَ القُرآنِ بمنزلٍ، وكَانَ يَقومُ علَى منبرِنَا هذَا، فيقرأُ البقرةَ وآلَ عمرانَ، فيفسِّرُهمَا آيةً آيةً.

العَالِمْ المَوسُوعةُ

كَانَ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ مَوسُوعةً في الكَثيرِ مِنَ العلُوم وَفرُوعِ المعرِفة؛ فَكَانَ عَالِمًا بِالقُرآنِ وَالحديثِ، وَالأدبِ شِعرًا ونثرًا، وَبالأنسَابِ، وَبالفقهِ، وَبِالتَّاريخِ، وَالتَّفسيرِ.. وغيرِ ذَلِكَ مِنْ علُومِ عَصرِهِ، وَقَدِ اجتمعَ النَّاسُ عِندَهُ يَومًا حتَّى ضَاقَ بِهِمُ الطَّريقُ، فَما كَانَ أحدٌ يَقدرُ علَى أَنْ يَجيءَ ولا أَنْ يذهبَ، فَلمَّا عَلِمَ ابنُ عبَّاسٍ بِهِمْ قَامَ فَتوضَّأَ، ثُمَّ جلسَ وأَرسلَ يَقولُ لَهُمْ: منْ كَانَ يُريدُ أَنْ يَسألَ عنِ القُرآنِ وحرُوفِهِ ومَا أَرادَ مِنْهُ فَليَدخُلْ. فَدخلَ أُنَاسٌ كثيرونَ حتَّى مَلؤُوا البيتَ، فمَا سألُوهُ عَنْ شَيءٍ إلا أَخبرَهُمْ بِهِ وزَادَهُمْ مثلَ مَا سَألُوا عَنْهُ، فَلمَّا خَرجُوا قالَ ابنُ عبَّاسٍ: منْ كانَ يُريدُ أَنْ يسألَ عنْ تَفسيرِ القُرآنِ وتأويلِهِ فَليَدخُل.

فَدخلَ أُنَاسٌ آخرونَ حتَّى مَلؤُوا البيتَ، فَما سَألُوا عنْ شَيءٍ إلا أَخبرَهُمْ بِهِ وزَادَهُمْ مِثلَ مَا سَألُوا عَنْهُ، فَلمَّا خَرجُوا قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: مَنْ أَرادَ أَنْ يَسألَ عنِ الحلالِ وَالحرامِ وَالفقهِ فَليَدخُلْ.

فدخلَ أُناسٌ كثيرُونَ حتَّى مَلؤُوا البيتَ، فمَا سَألوهُ

عنْ شَيءٍ إلا اخبرَهُمْ بِهِ وزَادَهُمْ، فلمَّا خَرجُوا قال ابنُ عبَّاسٍ: منْ أَرادَ أَنْ يَسألَ عنِ الفَرائِضِ (الميرَاثِ) ومَا أشبهُهَا فليَدخُلْ.

فدخلَ كثيرٌ منَ النَّاسِ حتَّى مَلؤُوا البيتَ، فمَا سَألُوهُ عنْ شَيءٍ إلا أَخبرَهُمْ بهِ وزَادَهُمْ، فَلمَّا خَرجُوا قالَ ابنُ عبَّاسٍ: مَنْ أرادَ أَنْ يَسألَ عنِ العربيَّةِ (قواعِدِ النَّحوِ) وَالشِّعرِ وَالغريبِ منَ الكلامِ فَليَدخُلْ.

فَدخلَ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ حتَّى مَلؤُوا البيتَ، فمَا سَألوهُ عَنْ شَيءٍ إلا أَخبرَهُمْ بِهِ وزَادَهُمْ، فَقالَ النَّاسُ: إِنَّ قُريشًا كُلَّهَا لَوْ فَخرَتْ بِذَلِكَ لَكانَ فَخرًا لهَا، فمَا رَأينَا مِثلَ هذَا لأحدٍ منَ النَّاسِ.

كَرمٌ.. وعَطاءٌ

كَانَ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ رَجلاً كريمًا، يَسعى في قضَاءِ حَوائجِ النَّاسِ، يُروَى أَنَّهُ كَانَ مُعتكِفًا في مَسجدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَأتَى رَجُلٌ، وجلسَ في المسجدِ وقَدْ ظَهرَ علَى وجهِهِ عَلاماتُ الحزنِ والأَسَى، فَسألُهُ عَبدُ اللهِ ﷺ

عنْ سببِ حُزنِه، فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا بنَ عَمِّ رسُولِ الله، لِفُلانٍ عَليَّ حقٌّ (دَيْنٌ)، وَحرمةِ صَاحبِ هذَا القبرِ (يَقصدُ قبرَ رسُولِ الله ﷺ) مَا أَقدرُ عَليهِ. فَقالَ لَهُ عبدُ الله ﷺ: أفَلا أُكلِّمُهُ فِيكَ؟ فَقالَ الرَّجُلُ: إذَا أحببتَ. فَقامَ عبدُ الله ﷺ، فَلبسَ نعلَهُ، وَهمَّ بِالخروجِ منَ المسجدِ، فقَال لَهُ الرَّجلُ: أَنسيتَ مَا كنْتَ فِيهِ؟ (أي: أَنَّكَ مُعتكفٌ وَلا يَصحُّ لَكَ الخروجُ منَ المسجدِ)، فَقالَ عبدُ الله: "لا، وَلكنيِّ سمعتُ صَاحبَ هذَا القبرِ ﷺ، وَالعهدُ بِهِ قَريبٌ، ثُمَّ بَكَى عبدُ الله، وقَالَ: سَمعتُهُ يَقولُ: "مَنْ مَشَى في حَاجةِ أَخيهِ، وبَلغَ فِيهَا (قَضَاهَا)، كَانَ خيرًا لَهُ من اعتكافِ عَشرِ سنينَ، ومَنِ اعتكفَ يومًا ابتغَاءَ وجهِ الله تَعالَى، جَعَلَ اللهُ بَينَهُ وبينَ النَّارِ ثَلاثَ خنادقَ أبعدُ مَا بينَ الخَافقينِ (المشرقِ والمغربِ)"[الطبراني]، ثُمَّ خَرجَ عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ ﷺ منَ المسجدِ وَقضَى حَاجةَ الرَّجُلِ. وكانَ عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ ﷺ يَقولُ: لأنْ أعولَ أهلَ بيتٍ منَ المسلمينَ شهرًا أو جُمعةً أو مَا شاءَ اللهُ أَحبُّ إليَّ من حجَّةٍ بعدَ حجةٍ، وَلهديةٌ أُهديهَا إلى أَخٍ لي في اللهِ أَحبُّ إِليَّ مِنْ دِينارٍ أُنفقُهُ في سَبيلِ اللهِ.

تَواضُعٌ... وَاحترامٌ

كَانَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ مُتواضعًا، يَعرفُ لأصحابِ النَّبيِّ ﷺ قدرَهُمْ وَمنزلتَهُمْ، ويُعظِّمُهُمْ ويحترمُهُمْ، فَذات يَومٍ أَرادَ زَيدُ بنُ ثَابتٍ ﷺ أَنْ يركبَ نَاقتَهُ، فَأسرعَ ابنُ عبَّاسٍ إليهِ لِيُنيخَ لَهُ النَّاقَةَ، فَقالَ لَهُ زَيدٌ: تُنيخُ لي النَّاقةَ يَا ابنَ عَمِّ رسُولِ اللهِ؟ فَقالَ لهُ ابنُ عبَّاسٍ: هكذَا أُمرنَا أَنْ نفعلَ معَ عُلمائنَا وكبرائنَا. فَقبَّلَ زَيدٌ يَدَ عَبدِ اللهِ وقالَ: وَهكذَا أُمرنَا أنْ نفعلَ بأَهلِ بيتِ نَبيِّنَا. وذَاتَ مرَّةٍ نَزلَ الصَّحابيُّ الجليلُ أَبُو أَيُّوبَ الأَنصاريُّ البصرةَ حينَمَا كَانَ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ أميرًا عَليهَا، فَلمَّا عَلِمَ ابنُ عبَّاسٍ بِذَلكَ أسرعَ إليهِ، وَأحسنَ مُقابلتَهُ، وأخذَهُ إِلى دَارِهِ، وقالَ لَهُ: لأصنَعنَّ بِكَ كمَا صَنعتَ معَ رسُولِ اللهِ ﷺ، فاستَضافَهُ خيرَ ضِيافَةٍ.

المكَانَةُ العَاليةُ

نَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ مكانةً عَاليةً، ومَنزلةً مرمُوقةً، بِبركَةِ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ لَهُ، وَبسببِ كَثرةِ فِقهِهِ وَغَزارةِ عِلْمِهِ،

وَقدْ شَهِدَ لَهُ بِذلكَ مُعاصِروهُ مِنَ الصَّحابةِ وَالتَّابعينَ، فَكانَ سَعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ ﷺ يَقولُ: مَا رأيتُ أَحدًا أَحضرَ فَهمًا، وَلا أَلبَّ لُبًّا (أحسنَ عَقلاً)، وَلا أكثرَ علمًا، وَلا أَوسعَ حِلمًا منِ ابنِ عبَّاسٍ ﷺ، ولَقَدْ رأيتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ يَدعُوهُ للمعَضلاتِ (المسَائِلِ الصَّعبةِ) فَيقولُ: قَدْ جَاءَتْ مُعضلةٌ، ثُمَّ لا يُجاوزُ قَولَهُ، وَإِنَّ حَولَهُ لأهلَ بَدرٍ.

وكَانتْ أُمُّ المؤمنينَ السَّيِّدةُ عَائشةُ بنتُ أَبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ ـ رَغمَ كَثرةِ علْمِهَا وَغزَارَتِهِ ـ تَقولُ: أَعلمُ مَنْ بَقِيَ بِالحجِّ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ.

وكَانَ التَّابعيُّ الجليلُ مسروقٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يقولُ: كُنتُ إذَا رَأيتُ ابنَ عبَّاسٍ ﷺ، قُلتُ: أَجملُ النَّاسِ. فَإذَا نطقَ، قلتُ: أَفصحُ النَّاسِ. فإذا تحدَّثَ، قلتُ: أَعلمُ النَّاسِ.

وقَدْ مَدحَ حَسَّانُ بنُ ثَابتٍ ﷺ ابنَ عبَّاسٍ بِأبياتٍ منَ الشِّعرِ، قالَ فيهَا:

إذَا مَا ابنُ عبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجهُـهُ

رَأيتَ لَـهُ في كُـلِّ أَقوالِـهِ فَضـلا

إذَا قـالَ لَـمْ يتـركْ مَقـالاً لقائـلٍ

بِمُنتَظمَاتٍ لا تُـرىَ بينَهـا فَصـلا

كَفَى وَشَفَى مَا في النفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ

لِذي أَربٍ في القولِ جَدًّا ولا هَزلا

عِبَادةٌ.. وَتقْوَى

كَانَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ كثيرَ العبادةِ، يُقيمُ اللَّيلَ، ويقرأُ القُرآنَ، ويُكثرُ مِنَ البُكاءِ مِنْ خَشيةِ اللهِ، يَقولُ عبدُ اللهِ ابنُ أَبي مليكةَ: صَحبتُ ابنَ عبَّاسٍ ﷺ مِنْ مكَّةَ إلى المدينةِ، فَكانَ إذَا نَزلَ، قَامَ شَطْرَ (نِصْفَ) اللَّيلِ يُصلِّي، ويَقرأُ القُرآنَ حرفًا حرفًا، ويُكثرُ في ذلكَ من البُكاءِ والنَّشيجِ وَالنَّحيبِ.

وكَانَ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ يُمسكُ بطرفِ لسانِه ويقولُ: وَيحكَ، قُلْ خَيرًا تَغنَمْ، وَاسكُتْ عنْ شَرٍ تَسلَمْ. فَقالَ رَجلٌ: يَا بنَ عبَّاسٍ، مَا لِي أَراكَ آخذًا بطرفِ لسانكَ تَقولُ كذَا وكذَا؟! فَقالَ لَهُ ابنُ عبَّاسٍ: إِنَّهُ بَلغَنِي أَنَّ العبدَ يَومَ

القيامةِ لَيسَ هُوَ علَى شَيءٍ أَحنقُ (أكثرُ غيظًا وضيقًا) مِنْهُ علَى لِسانِه.

وكَانَ التَّابِعيُّ الجَليلُ طَاوسٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَقولُ: مَا رأيتُ أَحدًا كَانَ أَشدَّ تَعظِيمًا لِحرمَاتِ اللهِ منِ ابنِ عبَّاسٍ ﷺ.

وقَالَ أَبُو رجَاءَ رَحِمَهُ اللهُ: رأيتُ ابنَ عبَّاسٍ ﷺ، وَأَسفلَ مِنْ عَينَيهِ مثلَ الشِّرَاكِ البَالي من البُكاءِ.

وسأَلَ رَجلٌ ابنَ عبَّاسٍ قَائلاً: يَا بنَ عبَّاسٍ، كيفَ صَومُكَ؟ فَقالَ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ: أَصومُ الاثنينَ وَالخميسَ. قَالَ الرَّجلُ: وَلِمَ؟ قالَ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ: لأَنَّ الأَعمالَ تُرفَعُ فِيهمَا، فَأُحبُّ أَنْ يُرفعَ عَملِي وأَنَا صائمٌ.

ورُوِيَ أَنَّ رَجُلاً شَتَمَ ابنَ عبَّاسٍ ﷺ يَومًا، فَقالَ لَهُ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ: إِنَّكَ لَتشتمُنِي وفيَّ ثَلاثٌ: إِنِّي لأسمعُ بِالحاكمِ مِنْ حُكَّامِ المسلمينَ يَعدلُ في حُكمِه فَأُحبُّهُ وَلَعلِّي لا أَقَاضِي إِليهِ أَبدًا. وإِنِي لأسمعُ بالغَيثِ (المطرِ) يُصيبُ البلادَ مِنْ بُلدانِ المسلمينَ فَأفرحُ بِه، ومَا لِي بِهَا سَائمةٌ ولا راعيةٌ، وَإِنِّي لآتِي علَى آيةٍ مِنْ كتابِ اللهِ تعَالَى، فَوددتُ أَنَّ المسلمينَ كُلَّهُمْ يَعلمونَ مِنهَا مثلَ مَا أَعلمُ

وَفَاةُ عَبدِ اللهِ

ظَلَّ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ﷺ مُقبلاً علَى العِلمِ والعبَادةِ حتَّى بَلغَ عُمرُهُ سَبعينَ سَنةً، وقَدْ رَوَى عنِ النَّبيِّ ﷺ (١٦٦٠) حَديثًا، فَخرجَ ذَاتَ يومٍ من المدينةِ المنوَّرةِ إلى الطَّائفِ، فَتُوفِّي بِالطَّائفِ سنة ٦٨هـ (٦٨٧م)، فَلمَّا وَضَعُوا نَعشَهُ لِيُصَلَّى عَليهِ جَاءَ طَائرٌ أَبيضُ، فَدخلَ نَعشَهُ حتَّى خَالطَ أَكفانَهُ، ولَمْ يَخرجْ، فَكانُوا يَرونَ أَنَّهُ علْمُهُ، فَلمَّا دُفِنَ ابنُ عبَّاسٍ سَمعَ النَّاسُ صَوتًا لا يَرونَ صَاحِبَهُ، يَقرأُ قَولَ اللهِ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ـ٣٠].

وقَد حَزِنَ النَّاسُ علَى موتِ ابنِ عبَّاسٍ ﷺ حُزنًا شديدًا، وقَدْ صلَّى عَليهِ الإمامُ مُحمَّدُ بنُ الحَنفيَّةِ، ولَمَّا دَفَنَهُ قالَ: اليومَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ.

رَحِمَ اللهُ عَبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ ﷺ، وَجزَاهُ عَنِ الإسلامِ وَالمسلِمينَ خَيرَ الجزَاءِ.